سلسلة حكايات أطفال

العصفور والحرية

دار رواء

تأليف
د. إبتسام درويش

رسوم
رأفت محمد

قَبْل ظُهُورِ ضوءِ النَّهارِ, تَرَكَتِ الْعُصفورةُ الأُمُّ عُشَّهَا وَطَارت فِى سعادةٍ بعيداً لتبْحثَ عَنْ رِزقِهَا وتَأْتِى بالطَّعامِ لِتُطْعِمَ صغيرَهَا وفِى أَحَدِ الْمراتِ رَجَعتِ الأُمُّ إلَى عُشِّهَا فَوَجَدت صَغِيرَهَا حزينًا وَلَمْ يُرَحبْ بِهَا كَعَادتِه وَلَمْ يُسَارِعْ إلَى إلْتِقَاطِ الطَّعامِ مِنْ منقارِهَا , فَهِمَت الأُمّ أَنّ شيئًا مَا قَدْ حَدَثَ وأَغْضَبَ صَغيرَهَا.

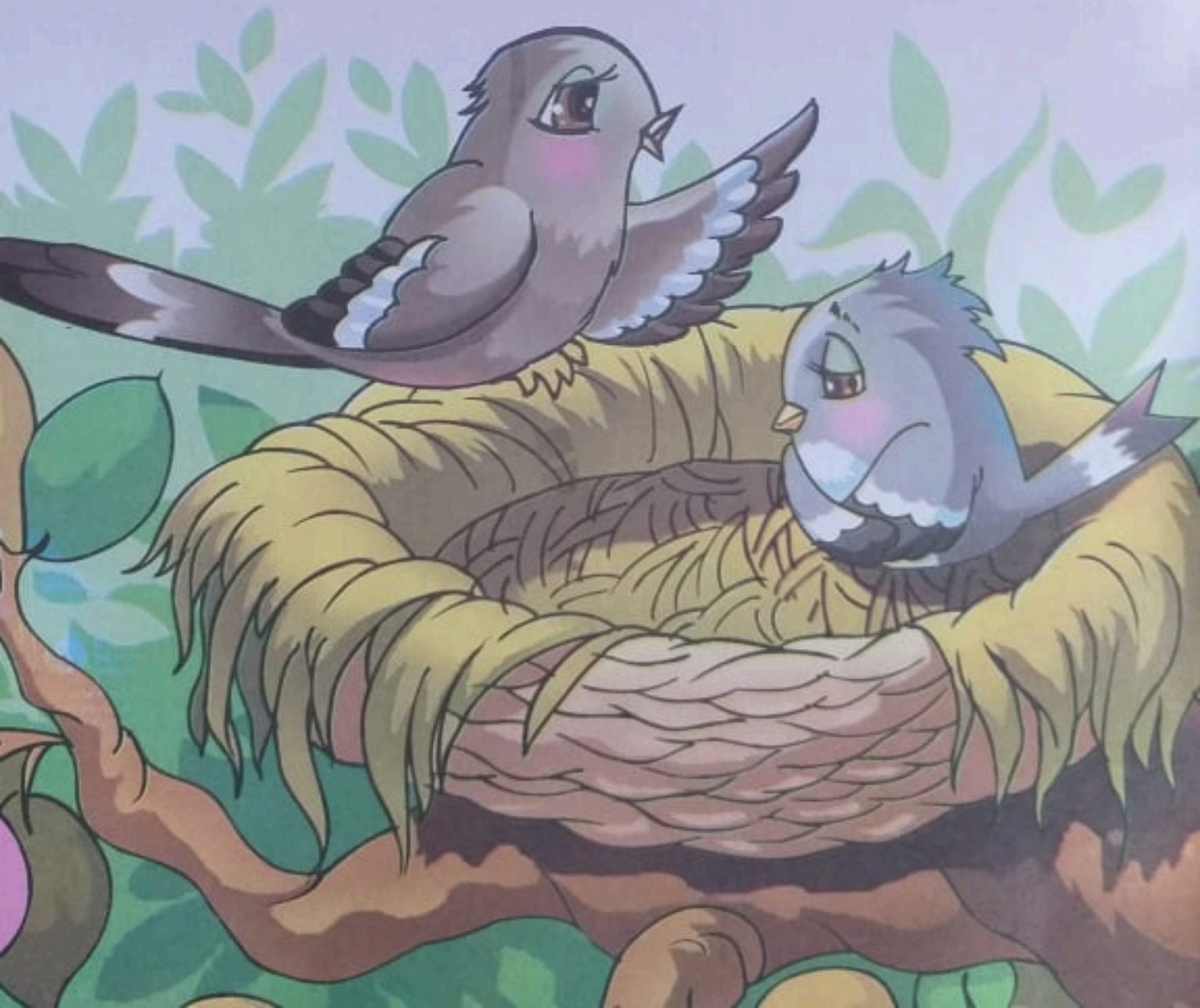

سَأَلَت الأُمُّ الصَّغيرَ عَمَّا يُحْزِنُهُ فَأَشَارَ لَهَا وَقَالَ : لَقَدْ قُمتُ بالطَّيرانِ فِى غيابكِ إلَى حَافَةِ النَّافذَةِ المَوْجودة أمَامنا فِى هذَا البيتِ حيث يُوجدُ قفَصٌ جميلٌ بداخلِهِ عصَافيرٍ مُلَوَّنةٍ وَلَدَيْهِم طعامٌ وَفيرٌ وَحَاوَلَتِ الْفَتاةُ التى تُطْعِمُهم الإمساكَ بِى لكنَّنى طِرْتُ بعيدًا عَنْهَا وَصَمَتَ الصَّغيرُ وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِه حُزنٌ شديدٌ.

قَالَتِ الأُمُّ فِى حَنَانٍ : مَاذَا حَدَثَ يَا عَزِيزِى ؟ قَالَ : لَقَدْ قَالَتْ لِى الْفتاةُ : اذهب بَعيداً أيُّهَا الْعُصفورُ الأَسمرُ فَلا أَحدًا يُرِيدُكَ ولاَ أَحَدًا يُحِبُّكَ وأَنَا لَدَىَّ عَصَافِيرِى الْملونَةُ وَهِىَ أَفْضَلُ مِنْكَ وأَنَا لاَ يُسْعِدُنِى أَنْ أَتعرَّفَ عَلَيكَ , وَصمَتَ الصَّغيرُ وظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ الْحُزْنُ الْكثيرُ. إِنَّ هَذِه الْكلماتِ السَّيئةَ قَدْ أَحْزَنَتْ قَلْبِى يَا أُمِّي.

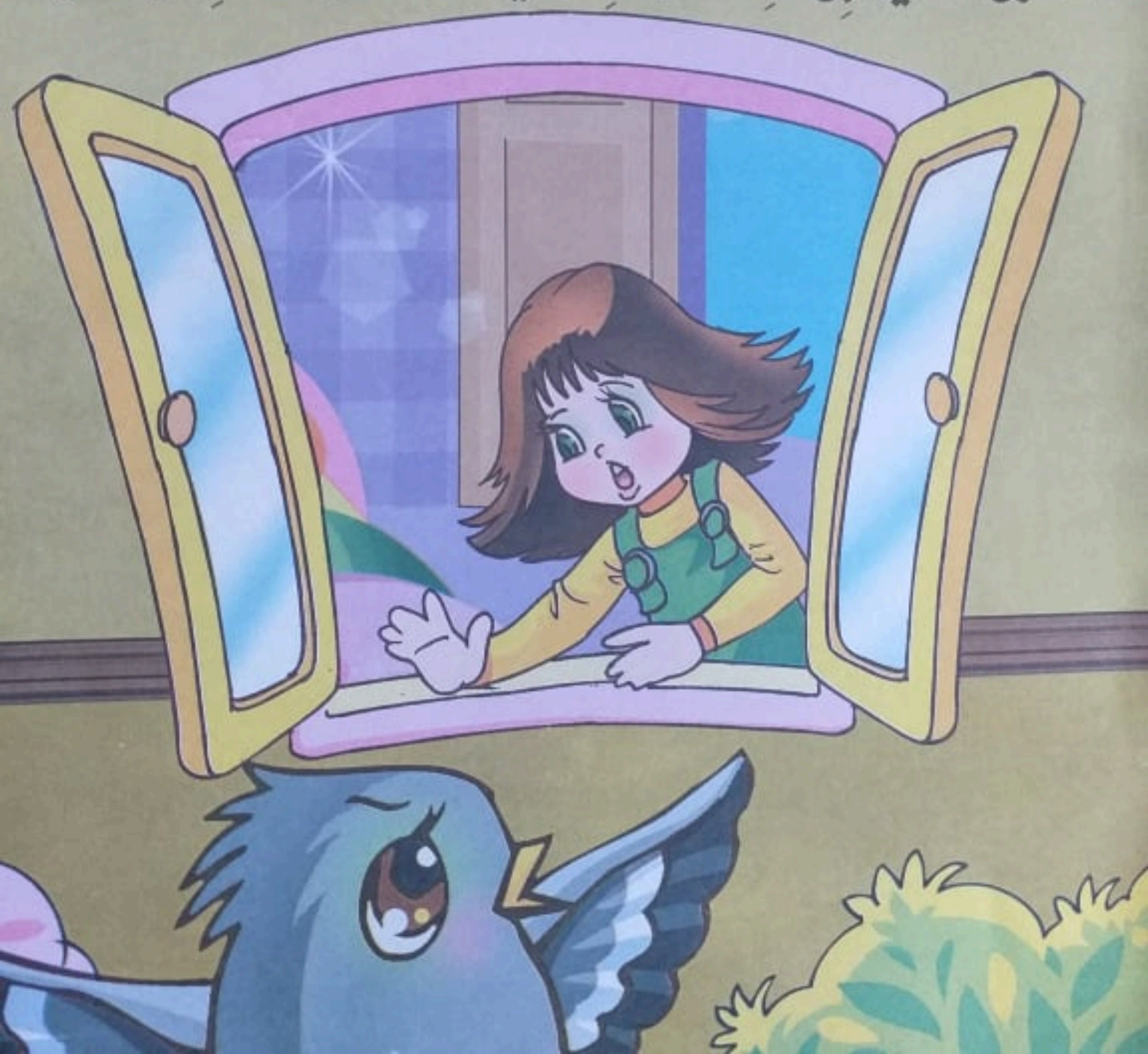

قَالَتِ الأُمُّ لِصَغيرِهَا وَهِىَ تَضُمُّهُ لِصَدْرِهَا بِجَنَاحِهَا :

الْحَمدُ للهِ يَا وَلَدِى أَنَّ الْفَتَاةَ لَمْ تُمْسِكْ بِكَ لأَنَّهَا لَوْ أَمسَكَتْكَ لَوَضَعَتْكَ دَاخِلَ الْقَفصِ ولَكُنْتُ تَعذَّبْتُ مِنَ السِّجنِ وأَنَا كُنتُ سَأَمُوتُ مِنَ الْحُزْنِ , إِنَّ الْبشرَ يَا عزيزِى يُحبُّون حَبْسَ الطُّيورِ لِتكونَ فِى مُتَنَاوَلِ أيديهِم ونحنُ طُيورٌ أَحرارٌ نكرَهُ الأَقفاصَ ولاَ نَطيقُ الأَسوارَ

قَالَ الصَّغيرُ : ولماذَا تَكْرَهُنِى تلكَ الفتاةُ يَا أُمِّى؟! قَالتِ الأمُّ: لأَنَّهَا لاَ تعرفُ شيئًا عَنْكَ , إنَّها لَوْ صَاحَبَتْكَ لَشَعَرَتْ بِرُوحِكَ الْجميلةِ وأخلاقِكَ النَّبيلةِ ,وَلَوْ سَمِعَتْ صَوتَك واستمعتْ إلَى عُذوبةِ لحنِكَ ونَغَمِكَ لأحبتِك فَدَعْكَ مِنْهَا يَا أَميرى لأنَّها إذَا كَانَتْ تُميزُ بينَ الطُّيورِ بسببِ لونِهَا وشكْلِهَا فَالْواضِحُ أنَّها فتاةٌ لا عقلَ لَهَا .

بَعْدَ مُرورِ أيَّامٍ , طَلَبتِ الأُمُّ مِنَ الصَّغيرِ مُرَافقَتَهَا وطَارَا حتَّى وَصَلا إلَى النَّافذةِ, قَالَتِ الأُمُّ: انظرْيَا وَلَدِى إلَى الْقِطَّةِ الْمَلونةِ التى تُجلسُهَا الْفتاةُ بجُوارِهَا وتُطْعِمُهَا وتعتنِى بهَا وَبَعد سَاعةِ نزلَتِ الْفتاةُ إلَى مدرسَتِهَا فَوَجَدَت قِطَّةً أمَامَ منزِلهَا فَدَفَعَتْهَا بعيداً بقدمِهَا, قَالَتِ الأُمُّ حقًّا إنَّهَا لاَ عَقْلَ لَهَا.

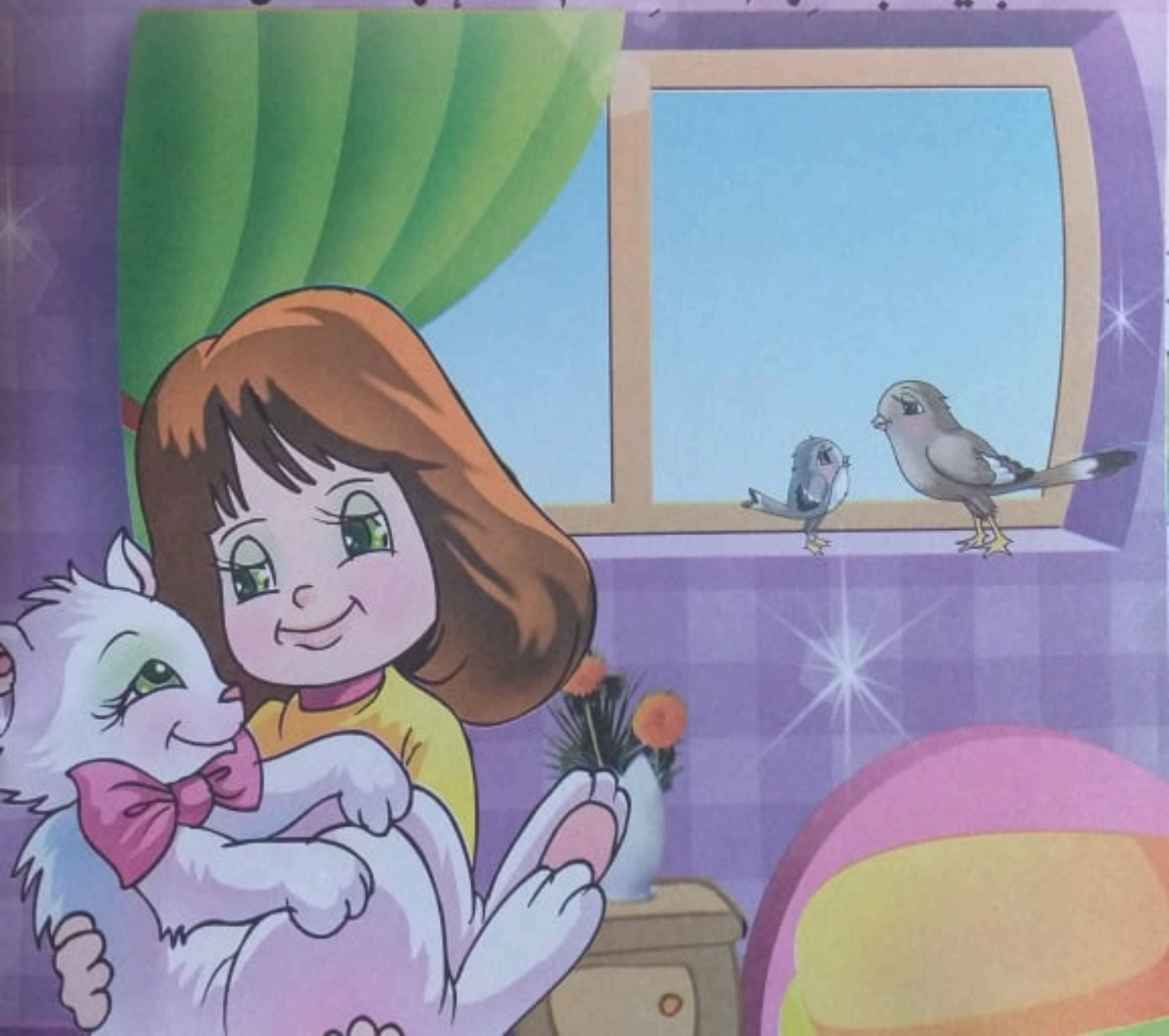

فِى الْيومِ التَّالِى, طَارَتِ الأُمُّ وَصَغِيرُهَا حَيثُ قَفَصِ الْعَصَافِيرِ الْملونةِ, تَعَرَّفَت عليهمُ الأُمُّ وَسَأَلَتْهُم: هَلْ أَنْتُم سُعَدَاء؟ قَالَت أَحَدُهُم: الْجميعُ هُنَا مَكْسورُ الْقَلبِ وَحَزِينٌ. قَالَ الْعُصفورُ الصَّغيرُ: أَلَسْتَ سعيدًا بِشَكْلِكَ الْجميلِ وَلَوْنِ رِيشِكَ الْبديعِ؟

قَالَ الْعُصفورُ الْملونُ: إِنَّنى حقًّا تعيسُ و أَتَمنَّى عيشَ الْحُريةِ حتَّى لَوْفقدتُ تِلْكَ الرِّيشاتِ الذَّهبيةَ

قَالَ لَهُم الْعُصفورُ الصَّغيرُ : أَتَمَنَّى لَكُمْ أَنْ تُشَارِكُونَا الْحُرِيةَ فِى الْقريبِ وَطَارَتِ الأمُّ وَصَغِيرُهَا وَسَبَحُوا فِى السَّمَاءِ ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْعُشِّ الصَّغيرِ فَوقَ أَحَدِ الأشجارِ غَنَّتِ الأُمُّ مَعَ صَغيرِهَا وقَالا :

نَحْنُ الْعَصَافِيرُ نُحِبُّ أَنْ نَطِيرَ
لَنَا مِنْقَارٌ صغيرٌ وَلَنَا ذَيلٌ كبيرٌ
نُحبُّ الْحيَاةَ فِى الْعشِّ الصَّغيرِ
نَختبئُ بينَ الأَشجارِ وَفَوقَ طَلْعِ النَّخيلِ
أَصْوَاتُنَا عَذبَةُ وَحَبْسُنَا مُسْتَحيلُ
وَسَعَادتُنَا الْحَقيقيةُ هِىَ فِى عيشِ الْحُريَّةِ